محمود امين العالم

معركة تاريخية فاصلة

لقد بدأت معركة التحرير العربية مرحلة جديدة من مراحلها ، واستطاعت ان تحقق مع بداية هذه المرحلة خطوات رائعة حقا في الطريق الطويل الصعب لاستعادة الارض العربية المحتلة ، والثقة العربية المهتزة والكرامة العربية المهدرة .

ان هذه المرحلة هي بغير شك تتويج للمراحل النضالية السابقة قبل هزيمة عام ٦٧ وللمعارك الصغيرة التي خاضتها أمتنا العربية بعد هذه الهزيمة ، معارك رأس العش وايلات والكرامة وعمليات المقاومة في الاغوار وجنوب لبنان واخيرا حرب الاستنزاف . وهي كذلك تتويج لجهود سياسية ودبلوماسية على المستوى العربي والعالمي ، وهي استفادة ذكية لاوضاع عالمية ملائمة ، وهي استجابة ثورية لارادة أمتنا العربية التي عبرت عن نفسها بمختلف وسائل التعبير السياسي والثقافي والاجتماعي .

لم يكن امام أمتنا العربية من سبيل غير المعركة ، لانتزاع ارضنا المحتلة من براثن العدوان الاسرائيلي بحد السلاح ، وقهر المخطط الصهيوني الاميركي ضد الامة العربية بحد السلاح ، السلاح العسكري ، والسلاح الاقتصادي ، والسلاح السياسي والدبلوماسي ثم السلاح القومي الذي يتمثل في وحدة العمل العربي على المستوى الرسمي والجماهيري والاقتصادي والعسكري .

وبخوض معركة التحرير العربية الشاملة ، تتحرر الامة العربية مما يعوق حركتها التاريخية نحو تأكيد ذاتها ، وتجديد حياتها ، والارتفاع الى مستوى عصرها تفاعلا خلاقا ، وفعلا خلاقا كذلك .

لهذا كان ٦ اكتوبر بداية مرحلة جديدة في معركة التحرير والتحضير العربية .

ولهذا كذلك لا ينبغي ان تتوقف هذه المعركة دون تحقيق هدفها الاخير .

لقد عبر الانسان العربي منذ الايام الاولى للمعركة أسوار القلق والانتظار المض واليأس ، واقتحم أحاسيس الهزيمة وانطلق من مرحلة اجترار الاحزان المرة الى مرحلة الفعل الخلاق المظفر ، وصادم بجسارة واقتدار قوى العدوان الاسرائيلي الصهيوني الاميركي ، واستعاد ثقته وثقة شعوب العالم في كنوز طاقاته النضالية الكامنة .

على انه في مرحلة الاندفاع البطولي نحو تحقيق هدف قومي تاريخي كبير ، يكون التوقف خطيئة لا تغتفر ان لم يكن استعدادا لمواصلة اندفاع اكبر نحو هذا الهدف .

ان وقف اطلاق النار ليس نهاية للمعركة ، ولا ينبغي ان يكون . بل هو مجرد منحنى من منحنيات الحركة النضالية في طريقها الصاعد . وهذا ما ينبغي ان يكون .

انه ليس وقفا لاطلاق النار على غرار ما تحقق عقب انكسار الجيوش العربية عام ٦٧ واجتياح الغزاة الاسرائيليين للاراضي العربية في الجولان والضفة الغربية للاردن وسيناء . انه مجرد لحظة سكون مؤقتة مشحونة بالتوتر وأقصى درجات الاستعداد في غمرة معركة لم تحسم بعد برغم ما حققته من انتصارات عسكرية وسياسية ومعنوية .

ونتساءل : هل من سبيل لحسم هذه المعركة بغير جولة اخرى ، بغير مواصلة النضال ؟ ما أظن ذلك .

ان الجرح النازف من جسد الوحش الاسرائيلي سيزيده توحشا وشراسة . لقد أصيب الوحش الاسرائيلي ، لا في غروره وغطرسته فحسب ، بل في فلسفته التي يقيم عليها كيانه العدواني كله . ولقد أصيب في مؤسسته العسكرية الحاكمة ، وأصيب في استقرار اوضاعه الاجتماعية والاقتصادية الداخلية ، واصيب في قوتهالجاذبة لآلاف المهاجرين اليه من يهود العالم ، وأصيب في علاقاته الدولية ، لا من الدول الافريقية التي يتوالى قطع علاقاتها به وحسب ، بل من دول اوروبية كانت تسانده ، أو تعطف عليه ، وأصيب كذلك بانفجار تناقض سوف يتسع داخل الولايات المتحدة الاميركية نفسها سنده الاساسي في العدوان والتوسع بل الوجود .

ان الوحش الاسرائيلي لا يلعق اليوم جراحه فحسب ، وانما هو يتأهب كذلك لاستعادة كيانه العدواني الاصيل بعدوان غادر شرس جديد علينا . انه يدرك ان انتصار الامة العربية عليه ـ حتى في

حدود استرجاع ما احتله من اراضيها منذ عام ٦٧ ـ هو بداية النهاية لكيانه العنصري الصهيوني العدواني كله ، ولهذا فان معركته هي معركة الحياة والموت لهذا الكيان .

ووهم كبير أن نتوقع ضغطا اميركيا عليه يعيده الى حدود عام ٦٧ ، أو اتفاقا سوفياتيا اميركيا مشتركا يعيده الى هذه الحدود. ان أميركا ـ نيكسون فضلا عن طبيعتها الاحتكارية المندمجة المصالح مع العدوانية الاسرائيلية الصهيونية التي تغذيها الصهيونية ، أبعد من ان تقوم بهذا الضغط ، بل أعجز عنه ، في هذه الايام بالذات بسبب فضيحة ووترغيت ، برغم ما أصاب مصالحها في الشرق العربي من أضرار ، وما تتعرض له علاقاتها بحلفائها الغربيين من أخطار . ولهذا تقوم اميركا اليوم بلعبة الديبلوماسية المزدوجة . وجه ديبلوماسي ترفع فيه راية السلام والدعوة الى انسحاب القوات الاسرائيلية الى حدود ٦٧ واحترام الحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني ، ووجه عملي آخر تدعم به العدوان الاسرائيلي وتتآمر به ومعه سعيا وراء اجهاض الاندفاع التحريري العربي بالتخدير والتضليل والمناورات الخبيثة المعطلة . ان اميركا تتحرك بين عدة محاذير : حرصها على استمرار الانفراج الدولي بينها وبين الاتحاد السوفياتي ، وحرصها على استعادة مكانتها بين حلفائها الغربيين ، وحرصها على حماية مصالحها البترولية والاستغلالية عامة في الشرق العربي ، ودعم علاقاتها بدوله بل استعادة نفوذها فيها ، وحرصها على حماية الكيان الاسرائيلي الصهيوني العدواني كلب حراستها لهذه المصالح وأداتها لضرب حركة التحرر والتقدم والوحدة العربية ، بل سمسارها في آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية ، وفضلا عن هذا كله ، حرصها على ضرب التحالف المتصاعد بين حركة التحرر العربي ومنظومة البلاد الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفياتي .

لهذا كله تلعب اميركا لعبتها المزدوجة في معركتنا التحررية . ديبلوماسية سلام وواقع عدوان وتآمر ومناورة .

لهذا لا ينبغي ان نتوقع من اميركا غير الكلمات والوعود ومحاولات الدوران والمماطلة في متاهات اللقاءات والمباحثات المجدبة البليدة . ولكن ... ألا تستطيع مرحلة الانفراج الدولي التي يعيشها عالم اليوم ، ألا تستطيع علاقات اميركا الجديدة مع الاتحاد السوفياتي أن تفرض عليها موقفا آخر من اسرائيل ؟ ان الانفراج الدولي أرضية ملائمة بغير شك لتحقيق الانتصار على قوى العدوان الاسرائيلي الاميركي . وهو بغير شك كذلك عامل حاسم من عوامل ما نراه من تناقض وتفكك بين البلاد الاوروبية الغربية في الموقف من اسرائيل ، بل ومن التصرف المستقل عن اميركا ، وعزلتها ، وهو كذلك عامل من عوامل هذا الموقف المزدوج الذي تتخذه اميركا من قضيتنا . فلاول مرة تعترف بقرار مجلس الامن الصادر عام ٦٧ وتؤكد على ضرورة تنفيذه ، وعلى ضرورة انسحاب اسرائيل الى خطوط عام ٦٧ ، وان تكن في الوقت نفسه تواصل مساندتها لاسرائيل وتآمرها معها . على ان الانفراج الدولي لن يكون وحده العامل الحاسم في حل قضيتنا حلا عادلا نهائيا . ذلك ان الانفراج الدولي لا يلغي الصراع بين أطرافه ، انه بغير شك يحد من تفاقم الصراع حتى يبلغ ذروة صدام دولي مسلح ، ولكنه لا يوقف تدفق الاسلحة الاميركية الى اسرائيل وتدفق الاسلحة السوفياتية الى العرب . ولهذا فان العامل الحاسم في معركتنا هو نحن . هو اصرارنا على التمسك بحقنا في مواصلة معركتنا حتى تحقيق هدفنا التحرري ، هو وعينا بهدفنا وعيا موضوعيا صحيحا ، وهو حسن تخطيطنا العلمي لنضالنا على المستوى العسكري والشعبي والدولي ، على المستوى السياسي والاقتصادي والبشري ، هو عمق وعينا بحقيقة الاوضاع العالمية ، وقدرتنا على حسن الاستفادة منها ، هو اقتدارنا على تعميق وتوسيع تحالفاتنا المبدئية مع أصدقائنا ، وعزل أعدائنا .

ان الانفراج الدولي أرضية ملائمة لمعركتنا ، ولكن العامل الحاسم فيها هو نضالنا نحن .

انها معركتنا من أجل تحرير الارض المحتلة ، واقرار الحقوق المشروعة العادلة للشعب العربي الفلسطيني ، وهي معركتنا من أجل اطلاق الطاقات العربية في طريق الازدهار الاجتماعي والثقافي ، والوحدة القومية والاضافة الحضارية الخلاقة .

ان وحدة العمل العربي في هذه المعركة ، هذا التنسيق الرائع ، والمشاركة الايجابية في تهديد المصالح الامبريالية للدول التي تساند اسرائيل ، وهذا الاسهام الايجابي المتنوع الابعاد في عبء المعركة سياسيا واقتصاديا وعسكريا ، هو في الحقيقة أرض الاختبار والاخضرار للمنهج الموضوعي لتحقيق الوحدة القومية الشاملة ، فضلا عن انه ايقاظ وحفز لكل قوى النضال من أجل التحرر والتقدم والديمقراطية في وطننا العربي الكبير .

وان تحالفنا المبدئي مع القوى الاشتراكية والديمقراطية والسلام في العالم هو دعم وتنمية لنضالنا التحريري والتقدمي والقومي ، وهو دعم كذلك للنضال الانساني كله من أجل الحرية والتقدم والسلام .

هذا هو معنى معركتنا التحريرية . وهذا هو معنى ضرورة الانتصار فيها ، من اجل مستقبلنا الحضاري ومن اجل مستقبل الحضارة الانسانية كلها .

انها معركة تاريخية فاصلة ، وانتصار تاريخي فاصل . واذا كنا قد حققنا في الجولة الاولى لهذه المعركة انتصارات رائعة للانسان العربي في طريق هدفه الكبير ، بعبور القناة وتدمير خط بارليف والاندفاع في سيناء والجولان ووحدة العمل العربي وعزلة اسرائيل واميركا دوليا ، فلا ينبغي أن نغالي في تقدير هذه الانتصارات الا بمقدار ما تدفعنا الى مزيد من المواصلة حتى يتحقق الهدف التحريري الكبير .

كما لا ينبغي ان نغالي في تقدير ما تحققه اسرائيل من تسلل مضاد في أرضنا في الضفة الغربية للقناة أو نتهاون كذلك في هذا التسلل . انها لا تستطيع بهذا التسلل ان تشرخ ما حققناه من انتصار ، بشرط ان نواصل معركتنا لتحرير ضفتنا الغربية منها ، وتعقبها في اصرار واقتدار حتى يتحقق لنا النصر .

ولا ينبغي ان نستنيم الى وعود اميركا ، في وقت تواصل فيه دعمها للعدوان وتآمرها معه لاخراجه من محنته ، واستعادة سيطرته على كيانه المهتز المأزوم .

ان معركتنا ليست معركة محلية محدودة بين الثورة العربية وبين الصهيونية العالمية ، بل هي معركة تاريخية بيننا وبين الصهيونية العالمية والامبريالية الاميركية . وهي معركة طويلة وشاقة ومعقدة ، ومتعددة المراحل والجولات .

واذا كنا نرفع شعار السلام القائم على العدل ، واذا كنا نحترم المواثيق الدولية ونتحرك في اطار المشروعية الدولية ، فينبغي ان ندرك كذلك ان لا سبيل الى تحقيق هذا الا بقوة النضال وفاعليته

وحسن تخطيطه وتنفيذه .

فهذا هو المنهج الوحيد الذي يتحقق به العدل والسلام لنا وللعالم . ذلك ان الانفراج الدولي ليس كما يزعم البعض تواطؤا بين دولتين كبيرتين هما الاتحاد السوفياتي واميركا ، وليس علاقة تكتيكية بينهما ، بل هو واقع أملته ظروف موضوعية متعددة ، لعل في مقدمتها قوة النظام الاشتراكي العالمي العسكرية والاقتصادية ونموه المطرد اقتصاديا وسياسيا وثقافيا ، ونمو تحالفه الموضوعي مع ثورات التحرر الوطني في العالم . ولهذا فان انتصارنا في معركتنا التحريرية ـ وان يكن الانفراج الدولي أرضية ملائمة لها ـ فان هذا الانتصار نفسه هو انتصار للانفراج الدولي نفسه ، بل هو عامل من عوامل دعمه وتثبيت مبادئه . ان انتصارنا ليس مجرد اختبار لهذا الانفراج بل هو دعم وتنمية له . ذلك لان انتصارنا هو انتصار للحرية والعدل والسلام في العالم أجمع وليس انتصارا لقضيتنا التحريرية وحدها . ان انتصارنا على العنصرية الصهيونية وعلى المساندة الاميركية لها هو دعم لقوى التحرر والتقدم والديمقراطية والسلام في العالم . فالصهيونية التي تتجسد في اسرائيل ليست حربا علينا فحسب بل هي حرب كذلك على قوى التحرر والديمقراطية في آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية ، بل هي قوة تآمرية ضد النظم الاشتراكية والتقدمية في العالم .

ولهذا فان المعركة التي تخوضها أمتنا العربية هي معركتنا وهي معركة العصر كله كذلك .

ولهذا فلا بد من الانتصار فيها . انه انتصار ممكن ، وهو انتصار ضروري كذلك .

ان تجدد الصدام بيننا وبين العدوان الاسرائيلي هو الاحتمال الاكبر ، بل هو فيما يبدو السبيل الوحيد لتحقيق السلام العادل في الشرق العربي . ان موائد المباحثات لن تتحرك حركة نشطة فعالة الا على صوت المدافع . حقا ، ان الحرب ليست ارادتنا الوحيدة . فارادتنا هي السلام العادل ، ارادتنا هي تحرير أرضنا المحتلة واقرار الحقوق المشروعة لشعب فلسطين . الا ان الحرب هي الضرورة التي يمليها علينا العدوان الاسرائيلي والمساندة الاميركية له.

وان حرصنا على السلام لا يتناقض مع خوضنا المعركة حتى النهاية . فمعارك التحرير في ذاتها هي معارك سلام . وان حرصنا على المشروعية الدولية لا يتعارض مع مبادراتنا بمواصلة تحرير ارضنا بحد السلاح واحقاق حقنا بالقوة المسلحة . فالمشروعية الدولية معنا ، وانتصارنا هو تدعيم لها ، لانه هزيمة للعدوان الاسرائيلي والاميركي على هذه المشروعية . وان حرصنا على مواصلة الجهود الديبلوماسية سعيا وراء استكمال تحقيق هدفنا التحريري بالعمل السياسي لا يتناقض مع حرصنا على التأهب والحذر ، ومواصلة المعركة دعما للعمل السياسي نفسه وتحقيقا لارادة الحرية والعدل والسلام لنا وللعالم أجمع . ولنحذر كل محاولة استعمارية صهيونية للغدر او المناورة او التآمر لاجهاض معركتنا واحباط اندفاعنا النضالي .

ان معركتنا مستمرة ما دام العدوان الاسرائيلي قائما متصلا . ولن تتوقف المعركة دون ان يتحقق لها الانتصار الكامل لقضيتنا العادلة .

على انه اذا كانت معركتنا تتحرك باستراتيجية عسكرية وسياسية موحدة على المستوى العربي والعالمي ، فما أشد حاجتها كذلك الى بعد استراتيجي ثقافي على المستوى العربي والعالمي كذلك . بل لعل الاستراتيجية الثقافية ان تكون عاملا رئيسيا من عوامل الانتصار لاستراتيجيتنا العسكرية والسياسية . ذلك ان الاستراتيجية الثقافية تعني مواصلة تعبئة قواتنا المسلحة بالوعي الصحيح بحقيقة قضيتنا ونضالنا ، وبالعقلانية العلمية الموضوعية بأساليب النضال ، وبروح اليقظة والاندفاع الواعي الجسور . والاستراتيجية الثقافية تعني مواصلة حشد كل الطاقات البشرية في أمتنا العربية حشدا خلاقا ، في مختلف مجالات الخدمة والانتاج والمقاومة المسلحة والمساندة الفعالة لقواتنا العسكرية . والاستراتيجية الثقافية تعني التحرك في العالم أجمع بوجهنا الحضاري ، بقضيتنا العادلة ، بمختلف وسائل التعبير الادبي والفني ، لمساندة استراتيجيتنا السياسية والديبلوماسية وكسب المزيد من الاصدقاء لقضية نضالنا العادل . ان الصهيونية تسيطر على أغلب وسائل الاعلام في العالم الغربي ، على ان حركتنا الثقافية النشطة تستطيع ان تقوم بدور مؤثر في جماهير العالم ، عن طريق الكتاب والفيلم والمعرض الفني ، والفنون الشعبية وغير ذلك من وسائل التعبير الثقافي .

ان حاجتنا الى وضع استراتيجية ثقافية عربية منسقة موحدة شاملة نتحرك بها على مختلف مستويات النضال ومجالاته ، واجب أساسي ، بل بعد أساسي من أبعاد نضالنا ، وركن أساسي من ارکان الانتصار فيها . ولن تكون استراتيجيتنا الثقافية مجرد سلاح من أسلحة النصر ، بل ستكون بمشاركتها الفعالة في هذه المعركة معنى من معاني الانتصار فيها ، وثمرة كذلك من ثمراته . بهذه المشاركة ، وبهذا الانتصار ستتجدد الثقافة شكلا ومضمونا وسيتحقق لها أرفع مستوى من النضج والتألق لا بالتعبير فحسب عن معاناة النضال وتضحياته وبطولاته ، ولا بالتعبير فحسب عن جوهر الانسان العربي المناضل من أجل أشرف القيم الانسانية ، ولا بالمواصلة الخلاقة فحسب لارفع ما في تراثنا العربي المجيد من كنوز فكرية وفنية ، بل بارساء قيم وكنوز انسانية جديدة في مجتمعنا وانساننا العربي الجديد المنتصر . ان انتصارها بالمعركة وفي المعركة ، سيكون دعما لوحدتنا القومية وانتصارا وازدهارا لانسانيتنا العربية ، ولانسانية الانسان في عصرنا ، وسيكون اضافة حضارية جادة . ولهذا فما أجدر المثقفين العرب ان يتنادوا اليوم لعمل ثقافي عربي مشترك يسهمون به في تغذية المعركة وانتصارها .

تحية للقائدين المناضلين أنور السادات وحافظ الاسد اللذين اتخذا القرار الحاسم ببدء المعركة .

وتحية لوحدة النضال العربي .

وتحية لقواتنا المسلحة الباسلة وللمقاومة الفلسطينية المجيدة .

وتحية لوحدة النضال البشري من اجل الحرية والعدل والسلام.

والنصر للنضال العادل لامتنا العربية .

القاهرة — **محمود امين العالم**

أطلب كتب دار الآداب
في
جمهورية اليمن الديموقراطية
من
مؤسسة ١٤ اكتوبر
للطباعة والنشر
ص. ب ٤٢٢٧
كريتر ـ عدن